التقرير اليومي

٢٠٠٧/٧/٢٦

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

إنقاذ حرب العراق

بقلم دانييل بايبس؛ نيويورك صن؛ ٢٠٠٧/٧/٢٤

موقفان يهيمنان على الكيان السياسي الأميركي ويستقطبانه اليوم. فالبعض يقول بأنّ الحرب خاسرة، لذا أتركوا العراق. ويقول آخرون بأنه بالإمكان الفوز بالحرب، لذا أبقوا الجيش في مكانه. أنا أفضل بين الخلاف وأقدم طريقاً ثالثاً. الإحتلال ضائع، لكن بالإمكان الفوز بالحرب. أبقوا الجيش الأميركي في العراق، لكن أخرجوه من المدن.

كنت قد تنبأت سابقاً بفشل إحتلال عسكري بقيادة أميركية للعراق في شباط ١٩٩١، تماماً بعد إنتهاء حرب الكويت. وكتبت حينها بأنّ إحتلالاً ما يدوم لأكثر من بضعة أشهر "سيقود، على الأرجح، الى إحدى أكبر الكوارث في تاريخ السياسة الخارجية الأميركية". وكنت قد توصلت الى هذا الإستنتاج على أساس الجماهير العراقية التي بدأت تصبح "مستاءة بعنف من وجود قوة إحتلال أميركية متسلطة". ولذلك، فقد إستنتجت، في حين الوقت الذي تدفن فيه نار القناص المذلة مكانة و هيبة تفوق التقنية العسكرية العالية وتضع حداً لها، " فالنصر الشهير المحقق بالتوماهوك، التورنيدو والباتريوت سرعان ما سيصبح ذكرى باهتة".

وفي نيسان ١٩٩١، أضفت قائلاً بأنّ "الجنود الأميركيون سيجدون أنفسهم، وبسرعة، مكروهين مع تفجيرات إنتحارية من صنع الشيعة، إستئناف الأكراد بتمردهم، و تآمر الحكومتين السورية والإيرانية وتخطيطهما لطرق جديدة بقصد تخريب السلطة الأميركية الحاكمة. فالبقاء في المكان قد يصبح مؤلماً جداً، كما أنّ الرحيل سيكون مذلاً جداً".

وفي تشرين الأول ٢٠٠٣، ومع مرور نصف عام على الإحتلال، كنت قد تنبأت بأنّ "المهمة في العراق ستنتهي بفشل" لأنّ الدافع العراقي لإزالة قوى التحالف يتجاوز، الى حد كبير، دافع الإئتلاف للبقاء. "فالمجهود المبذول لتثبيت وضع العراق، بقيادة أميركية، لا يعتبر هاماً كفاية للأميركيين، البريطانيين وشركاء آخرين من غير المسلمين لكي يتحملوه".

والآن، مرة أخرى، أكرر بأنّ الإفتقار للإرادة يعني بأن قوات التحالف لا يمكنها تحقيق الهدف العظيم لإعادة تأهيل العراق (فكم هو عدد الأميركيين أو البريطانيين المهتمين بعمق بشأن مسار العراق المستقبلي). أما لجهة الدعوة للإنسحاب، فإنّ الإنتقادات تعكس المزاج الوطني الذي يترك إدارة بوش معزولة أكثر فأكثر، وهو توجه من المؤكد تقريباً بأنه سيستمر.

وجزئياً، تعتبر مصداقية أميركا على المحك. فالبلاد لا يمكنها تحمّل ما الذي ستكون عليه ملاحظات فيكتور دايفيس هانسون عن فرارها الأول، على الإطلاق، من ساحة المعركة. فجمهور" خفض وهرول" يخدع نفسه بخصوص هذه النقطة. ويتمسك السيناتور جورج فوينوفيتش (جمهوري عن ولاية أوهايو) بالقول بأنه "إذا كان كل واحد يعلم بأننا سنترك العراق، فإنّ ذلك سيزرع بهم الخوف من الله"، الأمر الذي يرد عليه جيف جاكوبي بسخرية في صحيفة "بوسطن غلوب: "بالطبع، لا شيء يخيف القاعدة مثل رؤية الأميركيين يتراجعون".

ويجب أن يبقو الجنود في العراق لسبب آخر أيضاً: فالعراق يوفر قاعدة لا تضاهى، ومنها يكون التأثير على التطورات الجارية في أكثر مسارح العالم تفجراً. وبإمكان حكومات قوات التحالف إستخدامها لـــ:

- إحتواء أو دفع الحكومتين السورية والإيرانية الى الوراء.
- ضمان التدفق الحر للنفط والغاز.
- محاربة القاعدة ومنظمات إرهابية ودولية أخرى.
- توفير وجود مفيد في العراق.

أما في الوقت الحاضر، على كل حال، فبالكاد تملك قوات التحالف الوقت لتتجه نحو هذه الأهداف الإستراتيجية، حيث أن هذه القوات غارقة للغاية بالأهداف التكتيكية التي تقوم بها بشكل جيد بالحد الأدنى– تطهير الأزقة، المحافظة على التغذية الكهربائية، حماية أنفسهم من المفجرين الإنتحاريين، الدفاع عن "المنطقة الخضراء"، وعدد من المهمات الصغيرة المملة الأخرى.

أنا أدعو لتحرير الجنود الدوليين من المتفجرات المتطورة، حفر المناوشين في المدينة والقوافل المسلحة، وإعادة الإنتشار في الصحاري والحدود حيث بإمكانهم، مع تجهيزاتهم العالية التقنية، أن يلعبوا دوراً إستراتيجياً. وهذا الأمر يتضمن تخلي التحالف عن هدفه الطموح المعلن بعراق ديمقراطي، حر ومزدهر، ليساعد بدلاً من ذلك على وجود عراق آمن، مستقر ومحترم. إذ كانت عملية إجراء الإنتخابات، وتحديداً، في كانون الثاني ٢٠٠٥، بعد ٢٢ شهراً فقط من الإطاحة بالطاغية، عملية غير واقعية وقبل الأوان؛ فالعراقيون سيحتاجون الى سنوات، وربما عقود، لتعلم العادات المباشرة والدقيقة لمجتمع مفتوح.

لقد كانت عملية إزالة صدام حسين عملاً من أعمال التصريف الصحي الدولي الواقعي والمرحب به، إلا أنّ إصلاح العراق بوجه جماهير عراقية محررة، منقسمة وإيديولوجية لا يزال مسألة تتخطى إرادة التحالف. فالتحالف قدم للعراقيين بداية جديدة؛ ولا يمكنه تحمل المسؤولية عنهم ولا إعادة بناء بلادهم.

إنّ التركيز على المستوى الإستراتيجي يعني أيضاً بأنّ التحالف يضع نفسه على مسافة من التطورات العراقية الداخلية ويعامل العراقيين كراشدين يقومون بتشكيل مصيرهم وقدرهم، وليس كقاصرين: لا مزيد من العناق لقادة البلاد، ومعاملة البرلمانيين كأشخاص ثانويين. ولا مزيد من تشجيع الشركاء المحليين على الهجرة الى الدانمرك أو الولايات المتّحدة.

هذا يعني البقاء على الخطة لكن مع تغيير المسار، أي إعادة الإنتشار في قواعد الصحراء وليس الرحيل عن العراق.

بيع المقاومة العراقية

منتدى الصراعات؛ ٢٠٠٧/٧/٢٣

كانت إحدى أهم– وأهدأ– الزيارات تلك التي تمت مؤخراً الى واشنطن والتي قام بها الزعيم البرلماني السني محمد الدايني، الذي زار الكابيتول هيل خلال شهر أيار للإجتماع مع قادة المجلس النيابي ومسؤولي الإدارة. فالدايني، العضو السني في البرلمان العراقي ورئيس جبهة

الحوار الوطني العراقية السنية، ظهر في واشنطن في زيارة إمتدت ٢٥ يوماً للحديث مع صناع السياسة حول إستراتيجية واشنطن العراقية. فما هو المهم في زيارة الدايني؟ إنها لإقناع إدارة بوش البدء بإجراء محادثات مع من وصفهم الدايني بأنهم "الممثلين الحقيقيين للمقاومة العراقية"، وليس "ما يتوهمون أنهم قادة المقاومة". وما كان في ذهن الدايني هو أنّ إدارة بوش– وأعضاء الكونغرس– سيعيدون فتح المفاوضات مع البعثيين العراقيين، نفس القادة الذين كانت قد إهتمتهم الإدارة بالإجتماع مع عملاء القاعدة وإيوائهم، وكذلك إخفاء أسلحة دمار شامل.

إنّ الدايني الواضح والصريح معروف كمحازب سني، ناشط قوي معادٍ للشيعة، ناقد قديم لإيران، كما أنه ناقد مثير للجدل وأحياناً عنيف لحكومة المالكي. أما الأهم، فهو أنّ للدايني علاقات قوية مع شخصيات أساسية في المقاومة السنية، وهي حقيقة قادته الى صدامات مزعجة أكثر فأكثر مع المالكي– والذي أحضره الى واشنطن بالدرجة الأولى. كما أنه أيضاً، وبصفته رئيساً لجبهة الحوار الوطني العراقي السني (وهي كتلة سياسية منضبطة ومنتظمة تسيطر على ١١ مقعداً في المجلس النيابي العراقي)، فإنه لا يمكن تجاهل قوة الدايني. "إنه زعيم سياسي متكلم قادر على التعبير بسهولة بشكل مؤثر، إذا ما كان واضحاً وصريحاً"، قال أحد المساعدين في المجلس النيابي متذكراً إجتماعه معه. "إنه رجل صاحب آراء قوية، كما هو بائع بضاعة عظيم وممتاز".

لقد إستلزم الدايني بعض الوقت، لكنه كان قادراً في النهاية، على ترتيب إجتماع بين قادة المقاومة السنية العراقية الكبار الأساسيين من "البعثيين الحاليين" ووفد زائر من واشنطن وذلك في عمان في أوائل تموز. وبسبب تدخل الدايني المباشر (إلى جانب المساعدة المقدمة من وسيط عراقي– أوروبي)، أُخبرت بأن " مجموعة من القادة الأميركيين المنتخبين أو فرق عملهم" إجتمعوا بهدوء مع ممثلين للمقاومة السنية في عمان في أوائل تموز. ولا يوجد معلومات متوفرة حول تشكيلة الوفد الأميركي، لكن حدوث الإجتماع نفسه ليس محل تساؤل. أما الإجتماع، فقد تمّ، وبهدوء، بواسطة الدايني من خلال أشخاص على تماس مع حزب البعث الإشتراكي العربي في أوروبا.

أما الواسطة الأساسية فكان عراقي معروف جداً يعيش في أوروبا ويُعتبر محل ثقة لدى قيادة حزب البعث في دمشق. وقد لعب هذا الوسيط الأوروبي دوراً مركزياً، بحسب مصادري. ودار نقاشه ونقاش الدايني مع قيادة حزب البعث الدمشقي المتحفظة حول مسألة هي بأنه من دون إتصال ما بين قيادتهم وأعضاء الكونغرس وممثليه، فإنّ موطئ القدم الإيراني داخل العراق سيتسع. وكان حزب البعث، حتى في هذه الحالة، متشككاً حيال الأميركيين وبأنهم سيُظهروا إخلاص جيداً خلال المناقشات المقترحة.

وبالرغم من هذا الأمر، قررت قيادة حزب البعث الإشتراكي السوري إرسال ممثلين للحديث مع الأميركيين الذين يزورون عمان. كما قرروا أيضاً بأنهم سيتخذون خطاً متشدداً، وخلال الساعات الأولى من إجتماعهم مع الأميركيين– الذي تم في الأردن في أوائل تموز– كان قادة حزب البعث الإشتراكي العربي متصلبين: فقادة المقاومة العراقية أصروا على أنّ "التقدم الحقيقي يمكن أن يُصنع فقط ما أن يوضح الأميركيون لإيران بأنّ عليها أن توقف تدخلها في الشؤون العراقية". أما الوفد النيابي (الأميركي) فكان هادئاً، محتاطاً، وحتى متشككاً، "لكنهم أصغوا بإهتمام لما كان سيقوله البعثيون"، وقالوا، هم أيضاً، بأنهم قلقون من دور إيران في العراق، لكن لم يكن بإمكانهم تقديم وعود بشأن ذلك. وقالوا بأنهم سيفعلون ما بوسعهم لإنهاء النفوذ الإيراني في البلاد، لكنهم كانوا قلقين من أن تستمر المقاومة بقتل الجنود الأميركيين. وبأن هذا أمر لا يمكن التساهل به، بحسب ما قالوا. وإنتهى الإجتماع حول هذه الملاحظة الحيادية: قلق الجانبين من الإيرانيين، لكن من دون وضع إتفاق رسمي لإستمرار التواصل. أما ما كان مثيراً للإهتمام بخصوص إجتماع عمان، فلم يكن بأنّ المسؤولين النيابيين كانوا مستعدين للإجتماع مع حزب البعث العربي الإشتراكي، ببساطة، وإنما بأنهم كانوا مستعدين للإجتماع مع فئة من الحزب المشهور بأنشطته المعادية لأميركا.

"ففئة الأحمر " المنشقة عن حزب البعث العربي الإشتراكي– مركز قيادتها في دمشق، لكنها تعمل بشكل واسع في المناطق الغربية الممتدة للعراق– ليست بقيادة إلا محمد يونس الأحمد، وهو قائد محلي سابق لحزب البعث بظل حكم صدام حسين وأحد قادة المقاومة الأكثر

فاعلية، ورجل يساوي مليون دولار مكافأة لمن يأتي برأسه. فمحمد يونس الأحمد معروف جيداً بكونه واحداً من قادة المقاومة الأكثر فعالية وتأثيراً، كما أنه شخصية سياسية وعسكرية أيضاً، وكان قادراً على إعادة اللحمة إلى مجموعة من الفئات العلمانية المحبطة المعادية للأميركيين وتوحيدها معاً، والتي قاتلت الإحتلال الأميركي غرب العراق بثبات. ويتنقل الأحمد بسهولة بين غرب العراق ومنازل آمنة في دمشق، وهو المسهل المالي والقائد العملاني لجهاز حزب البعث المتجدد في العراق. "إن يونس متهم بتوفير التمويل، قيادة ودعم مجموعات تمرد متعددة، إدارة هجمات ضد الشعب العراقي والحكومة المؤقتة وضد الحرس الوطني العراقي والشرطة العراقية وقوات التحالف"، قال تصريح عسكري أميركي في العام ٢٠٠٥.

وفي حين لم ينتهِ إجتماع عمان أوائل تموز بين الأميركيين وممثلي فئة الأحمد بأي تفاهمات رسمية بين ممثلي المجموعتين، فإن الوسيط الأوروبي– العراقي أخبرنا بأنّ ممثلي الأحمد طرحوا وجهة نظرهم بشكل مفهوم وواضح: إذا ما تصرفت الولايات المتّحدة بشكل حاسم لإنهاء النفوذ الإيراني في العراق، فإنّ المقاومة البعثية سوف تنهي هجماتها على القوات الأميركية في غرب العراق. بالإضافة الى ذلك، فإنّ المحادثات المستقبلية في عمان سوف تعقد على "أساس متسارع وأكثر أهمية وواقعية"، إذا ما تصرف الأميركيون بسرعة وبإيمان راسخ لجهة تولي ما كانت فئة الأحمد قد حددته على أنه "ميليشيات إيرانية مرتبطة بقوات القدس الموجودة في بعض أجزاء العراق". وفي بداية إجتماع عمان، وتحمسه الظاهري بسبب شعوره بالتقدم الذي وعد به الإجتماع، طار الوسيط العراقي– الأوروبي الى دمشق للحديث مع محمد يونس الأحمد شخصياً، ثم إتصل بي وأخبرني تفاصيل محادثاته. "لقد رحبت قيادة حزب البعث بهذه المبادرة"، بحسب ما قال لي. "إنهم مستعدون لتهدئة الوضع في غرب العراق. إنهم جاهزون لمحادثات أخرى. فالأحمد عبّر عن إستعداده لإصدار الأوامر الى أتباعه لوقف مهاجمة الجنود الأميركيين في المناطق الغربية للعراق، لكن يمضي ذلك من دون القول بأنّ هذه الحركة سوف تستفز حكومة المالكي. فالحكومة لا تريد، وهذا واضح، أي إتفاق بين الأميركيين والبعثيين السابقين".

إذ أنّ حكومة المالكي حساسة بشأن جهود الدايني المبذولة بخصوص بيع الأميركيين مسألة الحديث مع المقاومة العراقية "الحقيقية" المعروفة جيداً– على الأقل في العراق. ففي بداية زيارة الدايني الى الولايات المتّحدة في أيار، إقتحمت القوات العراقية مكاتبه في غرب بغداد وإعتقلت خمسة من حراسه، وعقد الدايني مؤتمراً صحفياً في بداية العملية قائلاً بأنّ قوات المالكي صادرت ٣١ سلاحاً من مكاتبه وكمية غير محددة من المال. "إنّ بيوت ومكاتب ٢٠ برلمانياً، حتى الآن، وكلها سنية، قد تم إقتحامها كلها"، قال الدايني في ذلك الوقت. "ما يحدث اليوم في العراق، خاصة في بغداد، هو إنقلاب من قِبَل القسم التنفيذي للحكومة ضد القسم التشريعي". وقال نور الدين سعيد الحيالي، وهو نائب سني آخر في البرلمان، ظهر مع الدايني، بأنّ عمليات الإقتحام تجاهلت البروتوكول البرلماني. "إنّ حصانتنا يضمنها الدستور ويجب إحترامها"، قال الحيالي. أما الجيش الأميركي، فلم يكن لديه تعليق على مسألة الإقتحام.